

أنقرة والرياض وواشنطن وتفاعلات قضية خاشقجي

ماجد محمد الأنباري

تفاعل المجتمع الدولي بشكل متزايد مع قضية اختفاء الإعلامي السعودي المعارض جمال خاشقجي، التكهنات بمقتله أصبحت أقرب للواقع مع تكشف المزيد من الأدلة بشكل يومي تؤكّد تصفيته داخل القنصلية، وفي خضم تداعيات الحدث هناك مثلث علاقات تطرأ عليه تغيرات شبه يومية.

هذا المثلث يضم كلاً من أنقرة والرياض وواشنطن، العلاقة بين الأطراف الثلاثة معقدة، فأنقرة وجدت نفسها في مواجهة مباشرة مع واشنطن في سوريا بسبب دعم الأخيرة القوات الكردية وبسبب استمرار اعتقال القس أندرو برانسون.

من ناحية أخرى هناك عاقة معقدة بين أنقرة والرياض، فالطرفان يختلفان بشكل جوهري حول ملفات الربيع العربي وعلى الرغم من ذلك كانت هناك محاولات لترميم العلاقة خاصة في شقها الاقتصادي.

ورغم خلافاً تهما حافظ الطرفان على مستوى مقبول من الاتصال والتعاون، واشنطن بدورها كانت تعتبر الداعم الأول للعهد الجديد والإصلاحات المفترضة لمحمد بن سلمان، لكن العاقة تعقدت حال الفترة الأخيرة مع تكرار ترمب إهانته للرياض في مؤتمراته الانتخابية ومقابلاته، ووسط هذا كلّه جاء اختفاء خاشقجي ليُعقد المعقد.

أنقرة من ناحيتها وجدت الفرصة سانحة لترميم العلاقة مع واشنطن والتفاوض مع الرياض حول إخراج المسألة إعلامياً وسياسياً، وعلى ما يبدو كان هذا دافعاً خلف الإسراع في إجراءات محاكمة برانسون وتنفيذ الحكم باعتبار المدة التي قضاها في السجن تنفيذاً للحكم.

ومثلت عودته إلى واشنطن فرصة لترمب ليعلن انتصاراً ويُمتدح أنقرة بعض الشيء ويشير إلى تعاون كامل معها في التحقيقات المتعلقة بخاشقجي. على العكس من ذلك لم تنجح الرياض في توظيف علاقتها بترمب أو مفاوضتها مع أنقرة في الخروج من الأزمة الدولية التي تواجهها.

اليوم تواجه الرياض ضغطاً دولياً متزايداً للكشف عن مصير خاشقجي وتصريحات أمريكية تزداد حدة في كل يوم تضمّ آخرها التلوّح بعقوبات اقتصادية حال ثبتت الجريمة. كما انهارت المفاوضات مع أنقرة على ما يبدو حيث منعت أنقرة هبوط طائرات سعودية لأسباب لم يكشف

عنها بالإضافة إلى تصريحات رسمية تشير إلى عدم تعاون السلطات السعودية مع جهود التحقيق. وبالتالي تشير المقدمة إلى تحسن علاقة أنقرة بواشنطن على حساب علاقه الرياض بها، ولكن هل يشير هذا إلى تحول حقيقي في المواقف الإقليمية والدولية أم تغير لحظي يزول مع انخفاض التوتر الناجم عن الحادثة؟

لو ثبت اغتيال خاشقجي وثبت أن الأمر بقرار سعودي رسمي فنحن أمام أحد ثلاثة سيناريوهات: السيناريو الأول هو أن تعترف الرياض بما وقع وتستخدم كيش فداء كما فعل القذافي في قضية لوكربي حين قبل محكمة المقرحي وفحيمة كتسوية باتفاقية إلى دفع تعويضات، في هذه الحالة سيتمثل ذلك انفراجة جزئية ستتمكن واشنطن من تجاوز الأزمة نوعاً ما ولكن لن تعود العلاقة على الشكل الذي كانت عليه، أما أنقرة فستستفيد من تحسن العلاقة مع واشنطن ولكن العلاقة مع الرياض ستأخذ منحىً سلبياً.

السيناريو الثاني هو أن ترفض الرياض الاعتراف والتعاون بجدية مع التحقيقات مما سيضطر أنقرة لاتخاذ إجراء قد يتضمن تخفيض التمثيل الدبلوماسي أو قطع العلاقات، والضغط البرلماني والشعبي على البيت الأبيض سيتزايد مما سيضطر واشنطن إلى اتخاذ موقف حازم شبيه بما تم مع روسيا بعد اغتيال سكريبايل في لندن، في تلك الحادثة رغم تردد واشنطن إلا أنها اضطررت لاتخاذ إجراءات وفرض عقوبات جديدة على موسكو، الأمر نفسه سيتكرر مع الرياض خاصة وأن واشنطن لوحظ باحتمالية فرض عقوبات جديدة في حال ثبتت التهمة.

السيناريو الثالث هو أن تنجح الرياض في إقناع أنقرة بالتعاون في القضية، الأمر الذي يتطلب تنازلات سعودية في ملفات مثل دعم الأكراد وجماعة گولن وبعض الملفات الأخرى، التعاون هنا قد يأتي على شكل قبول أنقرة باتهام أفراد سعوديين بالجريمة بعيداً عن القيادة السعودية، هذا سيعطي واشنطن مساحة لأن تنهي الأزمة بشكل إيجابي مع الرياض وستتطور العلاقة بشكل إيجابي مع أنقرة ولكن هذا السيناريو حسب التطورات التي تمت خلال اليومين الأخيرين يبدو أقرب للخيال.

ربما لم يكن من المتخيل أن تثير حادثة محدودة نسبياً مرتبطة بشخص واحد كل هذه التفاعلات الدولية لكن جسامته الحادثة تكمن في شخص خاشقجي وعلاقته لكنها كذلك تمثل قشة قصمت ظهر البعير الدولي ليس من ناحية أخلاقية فحسب بل حتى من ناحية سياسية مصلحية بحثة.

فال المشكلة الأساسية هنا تكمن في ممارسات لم تحصل على ضوء أخضر دولياً حسب ما هو متعارف عليه وانتهاك لأعراف العلاقة بين الغرب والمنطقة.

* د. ماجد محمد الأنباري أستاذ الاجتماع السياسي بجامعة قطر.